

الاستدعاء الصهيوني للنصوص التناخية

- عقيدة الخلاص أنموذجا -

The Zionist invocation of the Tanakh texts

- The doctrine of salvation as a model -

آسيا شكيرب *

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، assia.chekireb@univ-emir.dz

تاريخ النشر : 2023/12/31	تاريخ القبول : 2023/12/28	تاريخ الارسال : 2023/12/05
--------------------------	---------------------------	----------------------------

analytical attempt to the extent of the ability of political circles to employ religion, and this is by shedding light on the Zionist invocation of a central doctrine within the Jewish doctrinal and religious system, namely the doctrine of salvation through the Messiah, the research attempts to reveal the mechanisms of Zionism's employment of the biblical religious heritage, especially the doctrine of salvation in its settlement project.

Keywords: Zionism ; Salvation; The Messiah; Settlement; Israel.

ملخص:

يسعى بحثنا هذا إلى مقارنة السياسي بالديني؛ في محاولة تحليلية لمدى قدرة الدوائر السياسية على توظيف الدين، وهذا بتسليط الضوء على الاستدعاء الصهيوني لعقيدة محورية داخل النسق العقدي والديني اليهودي، ألا وهي عقيدة الخلاص عن طريق المسيا، يحاول البحث الكشف عن آليات توظيف الصهيونية للموروث الديني التوراتي، خاصة عقيدة الخلاص في مشروعها الاستيطاني.

الكلمات المفتاحية: الصهيونية؛ الخلاص؛ المسيا؛

الاستيطان؛ اسرائيل.

Abstract:

Our research seeks to approach the political with the religious. In an

* المؤلف المرسل

مقدمة:

ظهر المصطلح على يد الكاتب الألماني ناثن برنباوم Nathan Birnbaum سنة 1982م ليصف به تحوّل تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من البعد الديني "المسياني" القديم إلى برنامج سياسي استعماري إقليمي يستهدف "عودة الشعب اليهودي" إلى فلسطين²

أما الصهيونية كمفهوم فهي " حركة سياسية تطالب بإعادة توطين اليهود في فلسطين (أرض الميعاد) كوسيلة لحل المسألة اليهودية"³ منذ عام 1896م ارتبطت الصهيونية بالحركة السياسية التي أسسها ثيودور هرتزل⁴ وهي إحدى الحركات القومية التي نشأت فكرتها بين الحركات القومية الأوربية في القرن التاسع عشر.⁵

إشكالية التعريف:

هناك عدة صعوبات تعوق تعريف الصهيونية بشكل مباشر لعدة أسباب منها :

1- تعرف المعاجم الغربية الصهيونية باعتبارها الأمل الصهيوني وليس الظاهرة الصهيونية، فعلى سبيل المثال تعرف بأنها الحركة الرامية إلى عودة اليهود إلى وطن أجدادهم -إريتس إسرائيل- حسب ما جاء في الوعد الإلهي والآمال المسيانية لليهود.

في الحقيقة لا يعرف المؤرخون أين يضعون بالضبط الحركة الصهيونية في تصنيفهم للحركات القومية وكذلك في تصنيفهم للحركة داخل الإطار العام للتاريخ اليهودي ، فالمؤرخ اليهودي لا ينظر إلى الصهيونية كظاهرة مستقلة عن باقي الظواهر فهو في الأغلب يبحث عن كيفية ربطها بالتاريخ والتراث اليهودي يقول

إن ما يسمى دولة إسرائيل الحالية، هي إحدى الكيانات الغير معترف بوجودها من قبل العديد من دول العالم، لهذا تسعى منذ سنوات عديدة لكسب التأييد الدولي للاعتراف بها؛ وتُجمع الدراسات المعاصرة على أن المشروع الصهيوني -الايديولوجي - السياسي، هو الذي أفرز دولة إسرائيل، وهو المؤثر الأساسي في السياقات المختلفة داخل المجتمع الإسرائيلي.

نحاول في بحثنا هذا تسليط الضوء على الاستدعاء الصهيوني لعقيدة محورية داخل النسق العقدي والديني اليهودي، ألا وهي عقيدة الخلاص عن طريق المسيا

فإلى أي مدى وظّفت الصهيونية الموروث الديني التوراتي، خاصة عقيدة الخلاص في مشروعها الاستيطاني؟؟

نحاول في بحثنا هذا الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي، إذ سنقوم بتحليل الأفكار الأساسية في البحث ونعيد بنائها وفق منطق يضمن فهم أبعادها المختلفة، بالاستناد إلى آيتي النقد والتقييم.

أولا : الصهيونية، تعريفها، نشأتها وموقف اليهود منها

1- تعريف الصهيونية:

التعريف الإيتيمولوجي: إن المصدر الإيتيمولوجي للصهيونية هو جبل صهيون الذي يقع جنوب أورشليم، أين بنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون الخليل إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.¹

كما يرى المسيري أن ثمة صيغة صهيونية أساسية شاملة تُشكل التعريف الحقيقي للصهيونية، وثمة عقد صامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية، كامن في هذه الصيغة، وثمة مادة بشرية مستهدفة (أعضاء الجماعات اليهودية خارج فلسطين والعرب الذين يعيشون فيها⁷ .

2- نشأة الحركة الصهيونية:

ظهرت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع كامتداد لعدد كبير من التداخلات الفكرية والثقافية الداخلية والخارجية، حيث أخذت عقلانية المهسكلاه وعنصرية الرابانيين وتفاول الحسيديم، بالإضافة إلى تأثيرها ببعض الطروحات الغربية السياسية والثقافية .

و يمكن القول أن ظهورها كان عندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا في 31 أوت 1897م وقد كانت الغاية الأولى منه توفير مكان آمن لليهود الذين تعرضوا للاضطهاد في روسيا وفي أوروبا. وقد كان الاضطهاد الفرنسي السبب المباشر الذي حمل الصحفي اليهودي ثيودور هرتزل⁸ إلى الدعوة للمؤتمر الصهيوني من أجل إقامة وطن يهودي⁹ وقد كان المشروع الصهيوني يهدف في حقيقته إلى تشكيل شركة بميثاق تحت حماية قوة استعمارية كبرى مثل إنجلترا، أو ذات طموح استعماري، على أن تكون في أي مكان سواء في الأرجنتين أو أوغندا أو قبرص ..، يقول هرتزل في هذا الصدد: " أستطيع أن أقول لك كل شيء عن أرض الميعاد، باستثناء المكان الذي ستوجد فيه، علينا الأخذ في الاعتبار كل العوامل الطبيعية ... في المستقبل، علينا أن نكون في مكان بالقرب من البحر، ومن أجل تحقيق الميكنة الزراعية يجب أن نحصل على

أحد المؤرخين: " الصهيونية أكثر مسائل الحياة اليهودية إثارة للجدل ، وينقسم الرأي بخصوصها في حدة شديدة، والنقاش حولها يدور مشحوناً بالانفعالات"⁶

2- يصعب تعريف الصهيونية لكونها عند البعض تحقيقاً للآمال المسيانية وعند البعض الآخر هي عبارة عن مخطط إستعماري استيطاني.

3- المصطلح يشير إلى عدة حركات ومنظمات سياسية غير متجانسة بل تصل لحد التناقض أحيانا في أهدافها ومصالحها ورؤيتها للتاريخ .

4- يستخدم المصطلح مع صفة تحد من حقله الدلالي أو توسعه كقولنا " الصهيونية العالمية " أو " الصهيونية المسيحية " .

يرى عبد الوهاب المسيري أن التعريفات الشائعة في المعاجم الغربية للصهيونية تتسم بضعف مقدرتها التفسيرية فإن كانت الصهيونية هي حركة القومية اليهودية وعودة اليهود لأرض الأجداد (كما تقول بعض المعاجم) فكيف تُفسر أن أغلبية الشعب اليهودي لا تزال تعيش في المنفى وتمسكة به، وتدافع عن حقوقها فيه؟ وكيف تُفسر امتلاء مخيمات اللاجئين بملايين الفلسطينيين؟ كيف تُفسر ما يقومون به من مقاومة؟ ولذا يرى المسيري أنه لا بد من طرح تعريفات جديدة أكثر تركيبية وشمولية وتفسيرية تتجاوز كل الاعتذارات والديباجات (الصهيونية والعربية) لتصل إلى بعض الثوابت الكامنة، وقد حاول المسيري ضبط التعريف من خلال عملية تفكيك لما هو ظاهر واكتشاف لما هو كامن وبلورته ثم إعادة التركيب و بالتالي طرح تعريفاً جديداً، له مقدرة تفسيرية أعلى.

أرض واسعة قابلة للامتداد... و القرارا سيتخذ مجلس إدارتنا " 10

غوغائية بحثة للتربة و للدم . فلا الشعب ولا الأرض مقدسان ولا هما جديران بأي تمييز روحاني عن العالم "

وعندما أسس هرتزل الحركة الصهيونية قوبل بمعارضة لاهوتي حاخامية شديدة¹¹ وكانت الاستجابة الأولى لمطاب المؤتمر متمثلة في عرض قدمته الحكومة البريطانية للحركة الصهيونية في عام 1903م وتقضي بمنح اليهود منطقة في يوغندا تبلغ مساحتها ستة آلاف ميل مربع لإقامة وطن عليها¹²

أما الاضطهاد الروسي لليهود فقد أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أين تنامت قوة النفوذ الصهيوني مع الوقت. وقد بلغ النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة حدا حمل بريطانيا على استرضائه.

قام روفوس ليرسي بتلخيص رد الفعل الأول للمنظمات اليهودي والأوروبية على رسالة هرتزل فقال : " المنظمات اليهودية المهمة في أوروبا الغربية مثل الإتحاد اليهودي العالمي بفرنسا وفرعها في النمسا و منظمة إيزرائيلتس اليامز و إتحاد الجالية اليهودية بلندن اعترضت على المشروع وأما الحاخام ألمر بيرجيه فقد ندد في مؤتمر عقد في جامعة لايدن - هولندا- في 20مارس عام 1968م بالتأليه المزدوج للأرض والعرق وقال : " صهيون ليس مقدسا إلا هيمن عليه القانون الإلهي وذلك لا يعني أن كل قانون كتب في القدس هو قانون مقدس إن الأرض ليست وحدها كفيلة بتحقيق الإتحاد مع الله فالشعب الذي عاد إلى صهيون مفروض عليه نفس مطالب العدالة والاستقامة والاخلاص للإتحاد مع الله. صهيون لا يستطيع انتظار عودة شعب يعتمد على المعاهدات والاتلافات والعلاقات العسكرية للقوة أو على طبقية عسكرية تبحث عن فرض هيمنتها على جيران إسرائيل . فقط الإتحاد الإلهي الذي يعبر هو نفسه من خلال تصرفات شعبه يعتبر مقدسا و أهلا لصهيون. أما دولة إسرائيل الحالية فليس لها أي حق في الادعاء أنها الإنجاز الأخير للمشروع الإلهي من أجل عصر ديني إن ذلك يعتبر

وقد أصدر وزير الخارجية البريطاني أرثر جيمس بلفور في 2 نوفمبر سنة 1917 وعده الشهر¹³ بإقامة وطن يهودي في فلسطين وكان يتطلع من خلاله لاسترضاء يهود الولايات المتحدة على أمل توظيف نفوذهم هناك لحمل الإدارة الأمريكية على تأييد بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، كما أن الحكومة البريطانية كانت تأمل من خلال الوعد بإقامة وطن يهودي في فلسطين إلى أن يصبح الوطن اليهودي نقطة حماية متقدمة للدفاع عن قناة السويس وعن الطريق إلى الهند، وقد عقد في نيويورك عام 1942م مؤتمرا صهيونيا طالب بإقامة الوطن اليهودي على كل الأرض الفلسطينية وهذا ما تم تحقيقه بالفعل إثر حرب جويلية 1967م. في سنة 1980م ضم القدس الشرقية وتحويلها واعلنتها عاصمة أبدية موحدة.¹⁴

3- موقف اليهود المتدينين من الصهيونية:

أ- الاتجاه المؤيد للصهيونية:

وهو إتجاه رأي في الصهيونية امتدادا للحركات الخلاصية اليهودية، وقد استندوا في بناء موقفهم على الارتباط الوثيق بين الأرض والشعب والدين والتاريخ في التراث الديني اليهودي. ويعبر ماكس نورودو عن هذا

ب- الاتجاه الرفض للحركة الصهيونية:

و يرى هذا الاتجاه أن الصهيونية حركة سياسية قومية لا دينية وقد ركز أصحاب هذا التوجه على جوهر الصهيونية السياسية التي سعت لإقامة وطن لليهود في فلسطين من خلال تحالفات سياسية وخطط استعمارية، ويدعم هذا الاتجاه غالبية الطوائف المسيحية والمجتمعات الحريدية اليهودية.

يرتكز أصحاب هذا الموقف على الاعتقاد بأن إقامة الدولة وتجميع اليهود في فلسطين لا يتم إلا بحضور المسيا، ويعود تاريخ هذا الموقف إلى القرن الثاني الميلادي عقب فشل ثورة باركوخبا، وقد أكد الحاخامات على موقفهم هذا من خلال العديد من المؤتمرات والتصريحات ومنها ما جاء في مؤتمر باريس عام 1807م " ليس لليهود أية حقوق شرعية أو إقليمية أو سياسية في فلسطين" ²⁰

وقف غالبية اليهود المتدينين أمام دعوة هرتزل ورأوا في زعيمها باركوخبا الجديد الذي يريد تكرار أخطاء الماضي.

يرى المسيحي أن أكثرية التيارات والجماعات الدينية اليهودية ظلت محافظة على موقفها غير الصهيوني من المشروع الصهيوني وهذا إيماناً منها بالمشيئة الإلهية، لكن هذه التيارات بدأت تنقاد بالتدرج للتعايش مع المفهوم الصهيوني الخاص بالعودة لفلسطين، فبعد حرب 1967 بدأت عدة أحزاب دينية صهيونية تنظر إلى نتائج هذه الحرب باعتبارها معجزة أو إشارة ربانية إلى بداية الخلاص، كما اعتبرت أن دولة إسرائيل ماهي إلا مقدمة لحيء المسيا المخلص مضافة بذلك على دولة إسرائيل سمات دينية مسيانية، وقد اعتبرها البعض

الرأي بقوله عن الصهيونية : " ... مجرد صيغة مجددة لعقيدة المسيح المخلص جرى نقلها من العقول المتحمسة للقباليين إلى عقول الرزعماء السياسيين للجماعات اليهودية " ¹⁵ وقد وصل الأمر بنودو لدرجة حصر اليهودية بالصهيونية، فاليهودية : " إما أن تكون صهيونية أو لا تكون "

بالرغم من عدم إعلان الحركة الصهيونية عن نفسها كونها حركة مسيانية إلا أن هذا الاتجاه رأى في الحركة الصهيونية حركة مسيانية، بالقوة قبل أن تكون بالفعل والممارسة، ويرجع البعض هذا المنحى إلى خطاب هرتزل الذي ساهم في اجتذاب العديد من المتدينين اليهود وإقناعهم بالأساس الروحي للحركة الصهيونية، فقد قال في المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام 1897م " إن الصهيونية هي العودة إلى حضيرة اليهودية قبل أن تصبح الرجوع إلى صهيون " ¹⁶ و ضمن هذا السياق يعرف **ناحوم غولدمان** الصهيونية بقوله : " عرض شامل لمختلف جوانب الجوهر اليهودي الموهل في القدم وصياغته في الانجازات الفلسفية الحديثة " ¹⁷

لقد عمل المتدينون الصهاينة على الربط بين الدين والقومية الصهيونية معتبرين أن فصل الجانب الديني عن الجانب القومي في الروح اليهودية من المستحيلات المطلقة لأن روح إسرائيل ملتصقة بروح الله . ¹⁸

وقد قاموا باستخراج العديد من النصوص بما يتوافق مع موقفهم، ويعتبر النص التلمودي " العيش في أرض إسرائيل يعادل كل الوصايا " أهم النصوص التي يركزون عليها في الترويج لمعتقداتهم. ¹⁹

تعاقبت ابتداء من السبي البابلي وتشرذم الجماعات اليهودية وتدمير الهيكل على يد الرومان وغيرها من الأحداث التي جعلتها ضرورة تاريخية وهو تحقيق لرغبة العودة الكامنة في روح الإنسان اليهودي²⁴

يتساءل Immanuel Etikes عن الدور الذي لعبته الفكرة المسيانية في بدايات الصهيونية ويجب أننا إذا حاولنا النظر إلى بدايات الصهيونية من منظور تاريخي يمكن اعتبار هذه الحركة القومية تجسيدا علمانيا للمسيانية التقليدية، فالطموح لتجميع الشعب اليهودي على أرض الأجداد، والجهود المبذولة لخلق دولة يهودية مستقلة وإحياء الثقافة العبرية تعكس جيدا البعد التجديدي للفكرة المسيانية²⁵

أما بالنسبة لمختلف اليوتوبيات diverses utopies التي تطبع الفكرة الصهيونية كتأسيس مجتمعا مثاليا في أرض إسرائيل فقد تغدت من عمق الاسكاتولوجيا اليوتوية Eschatologie- utopique لنفس الفكرة المسيانية.²⁶

أما الكاتبة تروى فايس رزمارين فتري في كتابها البقاء اليهودي أن الاندماج الكامل بين العناصر القومية والعالمية في المسيانية اليهودية بإمكانه أن يكسب إسرائيل حق معرفة الله وممارسة الحياة الطبيعية بغرض هدى العالم إلى نفس المستوى من الكمال، وبهذا تصبح المسيانية اليهودية أبعد ما تكون عن الضيق والجمود، فهي لن تقنع بالقانون الذي وضع في صهيون وبالاستماع لكلمة الله في أورشليم ولكنها ستزنو إلى مطمح أسمى²⁷ " لأنه صهيون ستخرج الشريعة ومن أورشليم ستنبعث كلمة الرب " ²⁸

استجابة لنداء الرب بل أكثر من ذلك اعتبروها الإرادة الإلهية نفسها²¹.

ثانيا: الصهيونية والنزعة المسيانية

تواجه المؤرخ للصهيونية²² مشكلة مهمة جدا تتعلق بمهية وطبيعة الصهيونية كحركة، فهل هي حركة قومية عبرت عن الواقع السياسي اليهودي وتأثرت بالحركات القومية الأوروبية التي نشأت بينها؟ أم أنها حركة دينية نابعة من الفكر الديني اليهودي استمدت أفكارها من التراث اليهودي، وبالخصوص من الفكر المسياني؟

وقد رأى بعض الباحثين أن الصلة التي تربط الصهيونية بالتراث اليهودي هي كون الصهيونية رمزا لمفهوم " نهاية الأيام " وأنها تحقيقا للتحرر من حياة المنفى وبداية للاستقرار ونهاية حياة التجوال، مما يعني أن الصهيونية هي الامتداد المعاصر للفكر الخلاصي اليهودي، وقد وصفها بعض الباحثين بأنها حركة خلاص علمانية في الفكر وفي وسائل التنفيذ.²³

إن ما يمكن استنتاجه أن زعماء الصهيونية استغلوا الفكرة المسيانية وحاولوا تنفيذها بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية وتطبيق سياسة الاستيطان ومحاولة ترسيخ فكرة أن الجماعات اليهودية هي أمة لها حرية تقرير المصير.

وقد حاولت الصهيونية بشتى الوسائل تغيير المعنى الديني للخلاص إلى مضمون علماني لإقناع الجماعات الدينية بأن الفكر الصهيوني ماهو إلا امتداد طبيعي للفكر الديني ونتيجة طبيعية له، ويرى بعض الباحثين اليهود الذين يتبنون الفكر الصهيوني أن الصهيونية هي الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث التاريخية التي

في الحقيقة مهما حاولت الكاتبة إعطاء المبررات لتبني الصهيونية للفكرة المسيانية فهذا لا ينفي كون الصهيونية قد استغلت هذه الفكرة من أجل البقاء اليهودي والذي يعني لدى الصهيونية فناء غير اليهودي .

لقد حاولت الصهيونية بشتى الوسائل تغيير المعنى الديني للخلاص إلى مضمون علماني لإقناع الجماعات الدينية بأن الفكر الصهيوني ماهو إلا امتداد طبيعي للفكر الديني ونتيجة طبيعية له، ويرى بعض الباحثين اليهود الذين يتبنون الفكر الصهيوني أن الصهيونية هي الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث التاريخية التي تعاقبت ابتداء من السبي البابلي وتشرد الجماعات اليهودية وتدمير الهيكل على يد الرومان وغيرها من الأحداث التي جعلتها ضرورة تاريخية وهو تحقيق لرغبة العودة الكامنة في روح الإنسان اليهودي³¹

يحاول البعض العودة إلى نصوص الصلوات والأدعية اليهودية الدينية لإثبات الجذور التاريخية للفكر الصهيوني ومنهم Milton Steinberg : " في كل صلاة عامة، صباحاً أو بعد الظهر أو مساءً، وفي كل صلاة فردية سواء في صلاة المائدة بعد الوجبات أو عند النوم، صلى اليهود من أجل العودة إلى صهيون وفي إثنتين من الصلوات الهامة المقدسة في التقويم اليهودي وهما الصلاة الخاصة بالصفح ويوم الغفران، تنتهي الصلاة عادة بأدعية قصيرة حارة لله من أجل هذا الأمر العودة " (3) وقد حاول هؤلاء المؤرخون أن يجعلوا الفكرة الصهيونية مستمرة في الوجدان اليهودي في كل عصور التاريخ اليهودي بعد السبي البابلي، وفي العصور الوسطى مثلاً يجد المؤرخ اليهودي Milton Steinberg في قصائد شعر يهوذا اللاوي العبري

بالنسبة لهذا الكمال الخلقى لإسرائيل هو ليس إلا تحقيق جزئي للرسالة المسيانية التي تمارس فيها البشرية جمعاء عقيدة أنبياء إسرائيل، فبمجرد حلول الموعد المسياني يمتلئ العالم كله بمعرفة الرب، وهذا لأن المثل العليا لليهودية في العدالة والسلام والإخاء لا يمكن أن تتحقق ما لم يؤمن أهل الأرض جميعاً بالإله الواحد المنفرد إله إسرائيل، وهذا هو الأمل الذي دفع أنبياء إسرائيل للصلاة من أجل اليوم الذي يؤمن فيه الناس جميعاً بإله إسرائيل وتصبح أورشليم معبد الصلاة لجميع الشعوب.²⁹ و قد أكد أنبياء إسرائيل وحكامؤها أن إعفاء بني إسرائيل من لعنة التشرد وعودتهم إلى الوطن أمر محتم في التمهيد لعصر المسيا، ولن يتاح للعالم الجديدة أن تظهر بدون هذا الاستقلال القومي وعندها فقط سيكون هناك عالم أفضل تحكمه العدالة وبشر أفضل يقودهم الحق، وتغذو حينها المسيانية اليهودية رسالة سماوية لا حلما من أحلام الخيال بل واقع صحيا منطقيا ملموسا، فمن خلاله تتحد الأهداف بالقومية والعالمية، ولا يشترط أن الالتئام الروحي الكامل للبشرية قبل عودة بني إسرائيل إلى وطنهم بل لا بد أن تكون هذه العودة مسبقة لكي تستطيع ان تستجمع من قواها ما يلزم للنهوض برسالتها.

لقد أجمعت آلاف السنين من التشرد والمتاعب التي لاقاها اليهود الأمل المسياني في نفوسهم حتى أصبح أملهم في العودة في العودة ما يعتقدون أنه وطنهم من الحتميات وأصبح الإيمان بتلك الرسالة السماوية رهنا بالعودة وكانت الكتابات النبوية والأبوة كالييسية والتلمودية مصدر مهما في بعث تلك العقيدة في الأنفس.³⁰

ظهور الصهيونية السياسية ومازال موجودا ممثلا في مجموعات من الدوائر المؤثرة في إسرائيل كحزب أجوديت يسرائيل وحزب بوعللي أجوديت إسرائيل.

الثاني: آمن أصحابه بضرورة تعجيل الخلاص وتطويع المفهوم المسياني من الصورة السماوية البحتة إلى التحقيق الفعلي على أرض الواقع وهذا بتكثيف الجهود البشرية اليهودية نحو استعمار فلسطين وقد تمثل هذا الاتجاه فيما قام به بعض الحاخامات والمفسرين الدينيين اليهود الذين أعادوا تفسير المسيانية على أنها التمهيد البشري لمجيء المسيح دون الاعتماد إلى العناية الإلهية وحدها لأن الرب يساعد الذين يساعدون أنفسهم³⁴

ومن بين المبشرين بالصهيونية الدينية الحاخام يهوذا **القالمي** الذي دعا إلى ضرورة إنشاء مجلس حكماء يرعى شؤون اليهود قبل مغادرتهم أرض المنفى، لتحقيق خلاص إسرائيل يعتمد على الجهود البشرية وأن وجود تنظيم عالمي يهودي واحد هو خطوة نحو الخلاص وهذا من شأنه أن يؤدي إلى مجيء المسيح بن يوسف. وقد دعا الحاخام **هيرشي كاليشر** (1785-1873) إلى ضرورة الهجرة الجماعية واستيطان الأرض وقد أولى الاهتمام بالعمل الزراعي وربط بينه وبين الخلاص المسياني بقوله: " سيكون هذا خطوة لبداية خلاص الأرض المقدسة ويؤدي تدريجيا إلى مجيء المسيح... ذلك لأننا إذا حققنا الخلاص للأرض سيؤدي هذا إلى ظهور ضوء الخلاص من لسماء"³⁵

وهو يرى أن مجيء المسيح ليس مفاجئا، فالخلاص عنده سيحدث اعتمادا على الجهود البشرية التي ترمي إلى تجميع اليهود في فلسطين، ويقول في هذا الصدد في مقالة تحت عنوان (دريشت تسيون) : " عزيزي

الخاصة بصهيون والأبيات التي نظمها في تمجيد الأرض المقدسة دليلا على استمرار فكرة العودة وبالتالي فكرة الصهيونية في الشعور اليهودي.³²

ويقول Milton في هذا الصدد : " بقدر ما كان الشوق إلى استرداد صهيون قويا، لم يحاول الانسان الصهيوني في العصر الوسيط أن يحقق هذه الفكرة بالعمل المباشر ، لقد أربكته الظروف وأضعفته حتى يئس من قوته ... وهكذا على الرغم من وجد طرف لعودة المنفيين الا أنه لم تكن هناك محاولات على مجال أوسع لعودة الشعب إلى أرضه ، لقد كان الحلم غيبوبة"³³

لقد شهد المفهوم المسياني تطورا كبيرا في في العصر الحديث، وقد جسد ذلك فتاوى ربانيو التوراة قبل ظهور الصهيونية السياسية بقيادة هرتسل⁽¹⁾ وقد مهدت لظهور الصهيونية وأسهمت في دعم الجهود البشرية الاستعمارية في فلسطين، وقد قدم الربانيون أمثال يهوذا القالمي (1798-1878م)، وهيرش كاليشير (1780-1874م) وشموئيل موهيلقر (1824-1898م) وإبراهام كوك (1865-1935م) وغيرهم شرطا جديدا لظهور المسيح اليهودي ويتمثل في ضرورة الهجرة الجماعية لليهود نحو فلسطين والاستقرار بها وقد إدعوا أن هذا يمثل خطوة أساسية لتحقيق مملكة الخلاص المسيانية، وقد عرف هذا التيار الصهيوني فيما بعد بالصهيونية الدينية.

وقد انقسم التيار الديني الصهيوني إلى إجتاهين :

الأول: يؤمن بالخلاص السماوي على يد المسيح المنتظر الذي ترسله العناية الإلهية دون أن يكون لليد البشرية دخل في ذلك، وهذا الاتجاه ظل قائما رغم

إن الربانيين المحدثين ربطوا بين المفهوم المسياني وبين الحركة الصهيونية التي أصبحت تمثل في فكرهم المسيا المنتظر القادم ليحقق مملكة عصر الخلاص المسياني بكل مفاهيمه العنصرية، وقد عبر الرباني الصهيوني ليفنتال عن ذلك في قوله: " تمثل الصهيونية ... خلق البشر جميعا " ³⁹

ويمكن القول أن هذا الاتجاه الصهيوني الديني ظل مواكبا للحركة الصهيونية يستمد منها عناصر وجوده وتستمد منه عناصر شرعيتها لتبرير وجودها في الأراضي الفلسطينية .

يعترف بعض الدارسين للحركة الصهيونية بالتناقض الفكرة الصهيونية ويرجعونه إلى محاولة زعماء الصهيونية استغلال أحداث الماضي لتدعيم قضية سياسية معاصرة، ويقول آرثر هرتسبرج في هذا الصدد: " إن مثل هذا الفكر ينتمي إلى الصهيونية التوفيقية، أي التي تحاول التوفيق بين حاضر الصهيونية وماضي التاريخ اليهودي. وهي فلسفة تقدم الصهيونية على أنها تعبير عن نهاية الأيام في الفكر الديني اليهودي وتحقيقا له ". وهذا الافتراض ليس له في رأي هرتسبرج ما يبرهن عليه فحاضر التاريخ اليهودي لا يدل على أن مفهوم نهاية الأيام وقدم المسيا المخلص قد تم بالفعل فما زال الموقف اليهودي في العالم على ما هو عليه. ⁴⁰

فرغم أن الصهيونية حققت هدف العودة بإنشائها لدولة إسرائيل إلا أنها لم تحقق الخلاص المنتظر ولم تغن عن قدوم المسيا المخلص، فاليهود لازالوا مشتتين في أنحاء العالم ⁴¹ " ما الاعتقاد بأن الصهيونية إتمام للفكر الخلاصي اليهودي وإنجاز له إنما هو من صنع بعض المتطرفين الصهاينة الذين اهتموا بالجانب العملي

القارئ: ألق عنك الفكرة التقليدية التي يؤمن بها جماهير الشعب والقائلة بأن المسيح سيصيح ويهتف فجأة، وينفخ في البوق العظيم ليزلزل أركان الأرض الأربعة، إن ذلك ليس صحيحا، بل على العكس، فإن بداية الخلاص ستتحقق عن طريق مساعدة الأمم على تجميع عدد قليل من مشتتي اسرائيل في الأرض المقدسة " ³⁶

وقد دعا الرباني كوك (1865-1935م) اليهود للهجرة اليهودية إلى فلسطين، ووجه اليهود لضرورة الاعتناء بكافة الأعمال داخل المستوطنات ووجههم إلى زراعة الأرض وقد وصف أعضاء المستوطنات الزراعية بأنهم " يؤيدون عمل الرب وأن عملهم هذا بمثابة تمهيد لطريق المسيح المخلص " ³⁷

بعد أن توجت جهود هرتزل الدبلوماسية بظهور الصهيونية السياسية، وما أسفر عنها من إنشاء المنظمة الصهيونية، واصل هذا الاتجاه من الصهيونية الدينية جهوده لتبرير ودعم النساط السياسي، وقد أرسل الرباني موهيلقر (1823-1898م) رسالة أثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (بازل 1897م) إلى المؤتمر أيد من خلالها الجهود المبذولة في إنشاء وطن لليهود، وقد هذه الجهود بمفهوم الخلاص قائلا: " لقد انقضى ما يقرب من ألفي سنة ونحن ننتظر قدوم المسيح الذي يخلصنا من سبينا المرير ويجمع إخواننا المشتتين في أركان الأرض الأربعة، حيث نعيش هناك تحت رعايته، ويعيش كل يهودي في ظل كرمته وتينته، إن هذ الإيمان عميق في قلوبنا، وكان عزاؤنا الوحيد في العصور الطويلة التي عانينا فيها من العذاب والاضطهاد... ما يتمسك به شعبنا " ³⁸

فكما أن الزهرة تنمو وقلبها تجاه السماء فهذا أيضا تتوبون أمامي وتتجهون بقلوبكم إلى السماء فأجعل مخلصكم يظهر لكم " فالاستعداد الخلقى ضروري لتهيئة المناخ للمسيا المخلص .⁴⁴

ما يؤكد أن العودة إلى فلسطين ليست دينية محضة ما يسمى بالهجرة العكسية التي هي خير دليل على عدم توفر العنصر الديني في فكرة العودة التي طالما ادعاها الصهيوينيون، وتعكس لنا الاحصائيات الإسرائيلية الرسمية فكرة واضحة عن عدد المهاجرين لإسرائيل، ففي الفترة ما بين 1948-1960م بلغ عدد النازحين لفلسطين 129 نسمة. وتشير إحصائيات المكتب المركزي في إسرائيل إلى عدد الذين غادروا إسرائيل منذ 1948 إلى 1970 وصل إلى 200 ألف يهودي، ويعطي هذا التقرير سببا لانخفاض الهجرة بالقول: " اليهود الذين كانوا يحتاجون إلى ملجأ وملاذ ويعتبرون أن إسرائيل تؤمن لهم هذه الحاجة قد جاءوا إليها بالفعل"⁴⁵

خاتمة

يمكن القول أن التراث اليهودي الصهيوني هو مجموعة من التعاليم والتقاليد التي وضعها حكماء اليهود وأجبارهم مستمدين روحها من بعض المعتقدات اليهودية غاية في الوصول لتحقيق أهداف سياسية عنصرية، لهذا نلاحظ أن التراث الصهيوني جمع بين اليهودية كعقيدة دينية وبين الصهيونية كفكرة ثم حركة سياسية عنصرية، وهو يقوم على منهج أساسي يعتمد إلى تمجيد اليهودية وتحقير ما غيرها بالاستناد على فكرة الاختيار والتي استغلها كثيرا لتبنيه شعور الشعب اليهودي الشعوب وجعله في حالة تعبئة مستمرة تأهبا

والتنفيدي لفكرة الخلاص الذي حولوه إلى خلاص علماني لا علاقة له بنهاية الأيام، وقد تمكن هؤلاء المتطرفون من رض سيادتهم على الفكر الصهيوني عامة بأيدولوجياته المختلفة، لقد غيرت الصهيونية مفهوم الخلاص وحولته إلى حوار بين اليهودي والعالم بعد أن كان تعبيرا عن لقاء اليهودي بربه في آخر الأيام، وقد حورت الصهيونية معنى المسيا وأعلنت أن المسيا المخلص ليس إنسانا أو شخصا من نسل داوود له قوى خارقة للعادة لكنه فكرة أو رمز لحرية الإنسان اليهودي الفردية وحرية القومية، كما أنه إشارة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لليهود عامة والتي ستؤدي بدورها لتحقيق رفاهية وسعادة الإنسان اليهودي والجماعة اليهودية وربما كانت بديلا عن السعادة الأخروية .⁴²

لقد أكد التفكير المسياني للصهيونية المعاصرة على علمانية مفهوم الخلاص فنجد أن ليون روث قد أشار إلى أننا لم نعد نتحدث بلغة التوراة: " من سيحصى أعمال الرب الجبارة؟ ولكن نسأل أننا لم نعد نتحدث بلغة الأنشودة الاسرائيلية التي تقول : من سيحصى أعمال إسرائيل الجبارة " ⁴³ ، وهو يشير إلى التحول الذي أحدثته الصهيونية من التأكيد على أفعال الله إلى التأكيد على أفعال إسرائيل.

ومما تقدم نستخلص أن التفكير الصهيوني ابتعد عن مفهوم الخلاص في أصوله اليهودية وقضت على التجربة الذاتية التي كان يثيرها هذا المفهوم في المشاعر والوجدان اليهودي. فالاعتقاد التقليدي للخلاص يجعل قدوم المسيا مرتبطا بأفعال الإنسان الخيرة التي ستعجل من قدومه، وإن كانت شريرة فهذا يبعد زمن قدومه، وقد جاء في المدراس: " قال الله : كل شيء يعتمد عليكم

6. عبد الوهاب مُجَّد المسيري: موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية - نموذج تفسيري جديد ، ط1، (القاهرة : دار الشروق، 1999) ، ج6.
7. عبد السميع الهراوي : الصهيونية بين الدين و السياسة ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، 1977م)
8. مايكل برير: الكتاب المقدس و الاستعمار الاستيطاني - أمريكا الاتينية، جنوب إفريقيا و فلسطين، ترجمة : أحمد الجمل، زياد منى، ط3، (دمشق : دار قدمس، 2004م)
9. مُجَّد حسن خليفة : الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، (القاهرة : دار الثقافة العربية، 2002م)

للخلاص من التيه والتشتت والعودة إلى أرض الميعاد أولاً ثم تحقيقاً للسيادة على باقي شعوب العالم.

والمتتبع لمسار التراث اليهودي الصهيوني يرى أن العقيدة الدينية قد اختلطت بالفكرة السياسية العنصرية على نحو عميق وشامل، حتى أن بعض أقطاب ذلك التراث تخيل أنهم المسيا بكل خصائصه ووظائفه ومهامه كما هي في المفهوم المسياني.

والشيء المؤكد رغم الاختلاف حول مسيانية الحركة الصهيونية أن زعماء الصهيونية استغلوا الفكرة المسيانية وحاولوا تنفيذها بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية وتطبيق سياسة الاستيطان ومحاولة ترسيخ فكرة أن الجماعات اليهودية هي أمة لها حرية تقرير المصير.

المصادر والمراجع:

10. **Abba Helle Silver** : A history of Messianic Speculation in Israel, from the firthrough the 17th centuries , (Boston: Beacon Press, 1959)
11. Arthur Hertzberg : The Zionit Idea a historical analysis and reader, (Greenwood Press, 1 juin 1970)
12. Carmen Alén Garabato : L'éveil des nationalités et les revendications linguistiques en Europe (1830 – 1930) , (Université Paul-Valéry : Harmattan , 2-3 juin 2005)
13. Immanuel Etkes : Rôle de l'idée messianique dans les débuts du Sionisme et jusqu'a la guerre de six – jours , Jean-Christophe Attias, Pierre Gisel, Lucie Kaennel : Messianisme variations sur une figure juive, (Genève : Labor et Fides , 2000)
14. Michael Bar-Zvi : Le Sionisme , (Les Provinciales , 2002)

1. أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، ط2، (بيروت : المؤسسة العربية، 1973)
2. أسعد رزوق : قضايا الدين و المجتمع، (معهد البحوث و الدراسات العربية، 1971م)
3. جورجى كنعان : العنصرية اليهودية، ط2، (بيروت : دار النهار، 1983م)
4. روجيه غارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، ط3 (القاهرة : دار الشروق، 2002م)
5. عبد الوهاب المسيري: المسألة الأيديولوجية الصهيونية - دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة - ، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، إشراف: أحمد مشاري العدواني، يناير 1978م عالم المعرفة).

- ¹⁵ - أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، ط2، (بيروت : المؤسسة العربية، 1973) ، ص 136
- ¹⁶ - أسعد رزوق : قضايا الدين و المجتمع، (معهد البحوث و الدراسات العربية، 1971م)، ص 6
- ¹⁷ - جورجي كنعان : العنصرية اليهودية، ط2، (بيروت : دار النهار، 1983م)، ص 15
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص 16
- ¹⁹ - عمر الحافي : الحركات الدينية اليهودية المعاصرة في إسرائيل ، ص 17
- ²⁰ - عبد السمیع المرادي : الصهيونية بين الدين و السياسة ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، 1977م)، ص 164
- ²¹ - عبد الوهاب مجاهد المسيري : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، ج6، ص 36
- ²² - في الحقيقة لا يعرف المؤرخون أين يضعون بالضبط الحركة الصهيونية في تصنيفهم للحركات القومية وكذلك في تصنيفهم للحركة داخل الإطار العام للتاريخ اليهودي ، فالمؤرخ اليهودي لا ينظر إلى الصهيونية كظاهرة مستقلة عن باقي الظواهر فهو يبحث عن كيفية ربطها بالتاريخ و التراث اليهودي يقول أحد المؤرخين " : الصهيونية أكثر مسائل الحياة اليهودية إثارة للجدل ، وينقسم الرأي بخصوصها في حدة شديدة، والنقاش حولها يدور مشحوناً بالانفعالات " (مجاهد حسن خليفة : الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، (القاهرة : دار الثقافة العربية، 2002م) ، ص 15
- ²³ - المرجع نفسه ، ص 16
- ²⁴ -Abba Hellel Silver : A history of Messianic Speculation in Israel, from the firthrough the 17th centuries , (Boston: Beacon Press, 1959) , 20-21
- ²⁵ -Immanuel Etkes : Rôle de l'idée messianique dans les débuts du Sionisme et jusqu'a la guerre de six -jours , Jean-Christophe Attias, Pierre Gisel, Lucie Kaennel : Messianisme variations sur une figure juive, (Genève : Labor et Fides , 2000), p 148
- ²⁶ -Ibid, p 148
- ²⁷ - صبري جرجس : التراث اليهودي الصهيوني و الفكر الفرويدي ، ص 137
- ²⁸ - إش : 3/2
- ²⁹ - تروى فايس رزمارين : البقاء اليهودي (نقلا عن؛ صبري جرجس : التراث اليهودي الصهيوني و الفكر الفرويدي، ص 138)

15. Milton Steinberg : A Partisan Guide to the Jewish Problem , (New York : the Bobbs- Merrill co , 1945)

الهوامش:

- ¹ - Michael Bar-Zvi : Le Sionisme , (Les Provinciales , 2002) , p 9
- ² - Carmen Alén Garabato : L'éveil des nationalités et les revendications linguistiques en Europe (1830 - 1930) , (Université Paul-Valéry : Harmattan , 2-3 juin 2005) , p 183
- ³ - عبد الوهاب المسيري : المسألة الأيديولوجيا الصهيونية - دراسة حالة في علم إجتماع المعرفة - ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، إشراف : أحمد مشاري العدواني ، يناير 1978م عالم المعرفة)، ص 153
- ⁴ - روجيه غارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، ط3 (القاهرة : دار الشروق، 2002م) ، ص 35
- ⁵ - عبد الوهاب مجاهد المسيري : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية - نموذج تفسيري جديد ، ط1، (القاهرة : دار الشروق، 1968) ، ج6، ص 13
- ⁶ - مجاهد حسن خليفة : الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، (القاهرة : دار الثقافة العربية، 2002م) ، ص 15
- ⁷ - عبد الوهاب مجاهد المسيري : موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية - نموذج تفسيري جديد ، ج6 ، ص 14-15
- ⁸ - رجب أحد أقطاب الحركة الصهيونية الإسرائيلية زانغول في ذلك الوقت بالعرض مع مجموعة من أعضاء الحركة، لكن الأكثرية رفضته، فانشق زانغول ورفاقه عنها ، وأنشأ منظمة صهيونية جديدة باسم " منظمة لأرض اليهودية وتحذف لتوطن اليهود المضطهدين في أوروبا وروسيا، إلا ان المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد في عام 1905م رفض المشروع وقاطع زانغول وزملائه، و أدان حركتهم مصرا على إقامة الدولة في فلسطين لأنها تشكل قوة جذب معنوية وحافزا دينيا لتجاوب يهود العالم مع المشروع . (مجاهد السماك: الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص 41)
- ⁹ - المرجع نفسه ، ص 41
- ¹⁰ - روجيه غارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، ط3 (القاهرة : دار الشروق، 2002م) ، ص 33
- ¹¹ - روجيه غارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، ص 35-37
- ¹² - مجاهد السماك: الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص 41
- ¹³ - في رسالة وجهها إلى المليونير اليهودي اللورد روتشيلد
- ¹⁴ - مجاهد السماك: الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص 42

³⁰ - صبري جرجس : التراث اليهودي الصهيوني و الفكر الفرويدي، ص

138

³¹ -Abba Hellel Silver : A history of Messianic Speculation in Israel, from the first through the 17th centuries , (Boston: Beacon Press, 1959) , 20-21

³² -Milton Steinberg : A Partisan Guide to the Jewish Problem , (New York : the Bobbs-Merrill co , 1945) , p 221

³³ -Ibid, op.cit, p 222

³⁴ -Jacob Lewis : Principles of the Jewish Faith An Analytical Study, منى ناظم : المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، ص 251. نقلا عن

³⁵ - منى ناظم : المرجع السابق، ص 251

³⁶ - שמואל'ל מוהליפר : הרעיון הציוני، (نقلا عن ؛ منى ناظم

: المرجع السابق ، ص 251)

³⁷ - مايكل برير : الكتاب المقدس و الاستعمار الاستيطاني - أمريكا اللاتينية، جنوب إفريقيا و فلسطين، ترجمة : أحمد الجمل، زياد منى، ط3، (دمشق : دار قدمس، 2004م) ، ص 204-205

³⁸ - שמואל'ל מוהליפר : הרעיון הציוני ، ص 311 (نقلا عن؛ منى ناظم : المسيح اليهودي و مفهوم السيادة الإسرائيلية، ص 252)

³⁹ - منى ناظم : المسيح اليهودي و مفهوم السيادة الإسرائيلية، ص 253.

⁴⁰ -Arthur Hertzberg : The Zionit Idea a historical analysis and reader, (Greenwood Press, 1 juin 1970) , p17

⁴¹ -Ibid, op.cit, p 18

⁴² - مُجَّد حسن خليفة : الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي ، 18-19

⁴³ -Stere n . Schwarzshild: The Personal Messiah , Toward Restoration of a discarded Doctrine in Arguments and Doctrines A Reader (نقلا عن ، حسن خليفة ، ص 20)

⁴⁴ -Abba Hillel Silver: A history of Messianic Speculation in Israel from the First through the seventeenth Centuries, p 24

⁴⁵ - مُجَّد حسن خليفة : الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ص 17-18

